عجبي!

يوم وقع «تلفزيون لبنان» في غرام أردوغان!

أراند فان دام ـ هولندا

زينب حاوي

من النادر جداً أن يطل السفير التركي شاغاتاي أرجييس على الشاشات اللبنانية. تترك هذه المساحات عادةً، لسفراء الدول الكبرى والفاعلة في المنطقة أمثال فرنسا، وروسيا، والولايات المتحدة الأميركية، التي لها علاقة مباشرة بالملف اللبناني. في خطوة لافتة، ظهر السفير التركي على «تلفزيون لبنان» يوم الاثنين الماضي، ضمن برنامج «وجهاً لوجه» (إعداد وتقديم روزانا بو منصف - إخراج حنا بواري). جلّ المقابلة (ساعة تلفزيونية)، ركّز على حيثيات الانقلاب الذي حدث في 15 تموز (يوليو) وتداعياته. المساحة أعطيت بالكامل للصوت التركي، على الرغم من أنّ بو منصف ربطت في استهلالية حلقتها التطورات التركية بالضجة التي أثيرت في بيروت جراء حادثة الانقلاب، إلا أن ما انتهى إليه اللقاء لا يعدو كونه تضليلاً للرأي العام المهتم طبعاً بالشؤون التركية، وترويجاً لصورة تركيا الناصعة.

السفير الذي تحدث بالإنكليزية، ورفض مراراً مقاطعته بأسئلة إضافية، استفاض كثيراً في التعبير من وجهة نظر رسمية، عن توصيف ما حدث تلك الليلة، من «سحق للمدنيين بالدبابات»، إلى «قصف البرلمان» و«اقتحام القنوات الرسمية والخاصة». كان التركيز على أن الشعب التركي بجلّه أسقط هذه المحاولة و«انتصر للديمقراطية». في استجواب بو منصف للسفير، جرى تغليف ما يحصل اليوم في تركيا من إجراءات وممارسات أمنية قمعية في المدارس والجامعات والصحافة، إذ ربط كل ذلك بالكلام عن المعارض فتح الله غولن. استحوذ الأخير على الحديث، وطُمست باقي إجراءات الدولة البوليسية في تركيا. وكان لافتاً الهروب من الحديث عن تفاصيل هذه الإجراءات إلى الكلام عن توتر العلاقات التركية - الأوروبية، بما أن الدول الأوروبية أدانت وحذرت مباشرةً من مغبة ما يفعله الرئيس التركي بخصومه. تسأل روزانا بو منصف السفير: «هل تعتقد أن محاولة الانقلاب ستتكرر في ظل وجود غولن في الخارج؟». وفي مكان آخر، والسياق عينه، خلنا للحظة أنها لمّحت إلى مجموعة الإجراءات القمعية في تركيا، لكننا كنا مخطئين، إذ أتى السؤال على النحو الآتي: «الانقلاب اليوم يطاول الجيش، ومؤسسات أخرى، هل ذلك يدل على أن غولن يحظى بانتشار واسع؟»، ليؤكد أرجييس أنّ ما يحصل اليوم في تركيا في مرافق عدّة من ضمنها الإعلام «لا يعني أن الحكومة تخنق حرية التعبير».

طبعاً، معظم مداخلات السفير أتت من دون تدخل من المذيعة. ترك على هواه في الرد على الأسئلة من دون اتخاذ مسافة نقدية لافتة، إلا في أماكن ضئيلة. حتى هذه الخروقات ـ إن صحّ التعبير ـ صحبها فوراً تلطيف للعبارات لتتناسب مع مزاج السفير التركي.

إذاً، استحوذ الحديث عن الملف التركي الداخلي أكثر من ثلاثة أرباع الوقت، من دون الالتفات إلى أن هذا الأمر لا يعني الكثير من اللبنانيين على الشاشة الرسمية، ليبقى في نهاية الحديث، جزء ضئيل مخصص لسوريا، وتحديداً ما يجري في حلب وتأثيره في الساحة التركية. هنا، أعاد السفير التذكير بدعم بلاده «للمعارضة المعتدلة» في سوريا، ومقارعة «الإرهاب»، ولا سيما جبهة «النصرة»، و«داعش». طبعاً، مرّ كلامه السلس مرور الكرام من دون أي إشارة إلى دور تركيا المحوري في تصدير هذه الجماعات، واللعب بقوة على الساحة السورية المنهكة.

وقفة

أولمبياد ريو: تجارة وسياسة وحروب ثقافية

سعيد محمد

عاد موسم الألعاب الأولمبية، هذه المرة في عاصمة تناقضات الجنوب في ريو دي جانيرو. عادت بالطبع مع الاصوات الساذجة ذاتها التي تدافع عن الرياضة والتنافس الشريف وضرورة إبعاد السياسة عن الألعاب. لكن الرياضة عموماً، والألعاب الأولمبية خصوصاً، مشبعة بالرموز السياسية والثقافية، بل ربما بأسوأ أشكال التسييس: تنافس الهويات الوطنيات الموهومة في أجواء استهلاكية محض برعاية شركات الرأسمال المعولم الكبرى ذاتها.

دورة الألمبياد في ريو هذا العام، جاءت متخمة بالفضائح والصراعات السياسية قبل أن تبدأ. البرازيل نفسها - الدولة المنظمة - تعيش مرحلة تفسخ سياسي غير مسبوق، بين رئيسة يسار متهمة بالكذب ورئيس يمين تزكم الأنوف رائحة فساده، مدفوع من الأميركي لإسقاط أكبر دول أميركا الجنوبية في يد النيوليبرالية من جديد. في ظل هذا التفسخ، فإن عشرات العائلات أجليت من مساكنها من أجل التحضير للأولمبياد. تفيد تقارير صحافيّة بأن أكثر من 2600 شخص قتلوا على يد قوات الأمن في منطقة واحدة منذ 2009، وهم يقاومون أوامر الإخلاء لأجل إقامة الحديقة الأولمبية. أسعار العقارات في المدينة المكتظة أصلاً بالسكان زادت بما يقارب 70 في المئة، مما يجعل قطاعات أوسع من سكان المدينة خارج معادلة المساكن أصلاً (الحمد لله أن بيروت لن تنظم ألعاباً أولمبية قريباً) والحلول البيئية المؤقتة التي تكافح الحكومة لتوفيرها وقت الألعاب ستتسبب في مشاكل أوسع للمدينة التي تعد من أسوأ المدن بيئياً في العالم.

ثم أتت قضية تعاطي المنشطات. تبين أنّ الرياضيين الروس يتناولون المنشطات ضمن برنامج سري ترعاه الدولة. وكادت التوازنات الدولية تتفجر عندما أوشكت اللجنة الدولية لمكافحة تعاطي المنشطات على منع الرياضيين الروس من المشاركة في الأولمبياد. بوتين تدخل بنفسه وهاجم «المحاولات لإدخال الألاعيب السياسة في الألعاب الرياضية». وبالطبع، تم التوافق على طريقة لإرضاء الروس، لكن من الواضح أن قضية المنشطات لا تتعلق بروسيا وحدها، بل أصبحت فناً متقدماً تتنافس فيه الدول الكبرى لضمان فوز رياضييها وتكريس سمعتها الدوليّة (هل تذكرون فريق نجوم الكيمياء المتقدمة الذي كان وراء الدرّاج الأميركي لانس آرمسترونغ؟). في دورة بكين الماضية، فإنّ 23 من أصل 30 حالة تم التأكد من تعاطيها للمنشطات وكانت لفائزين بميداليات، علماً بأن الفحوص مستمرة حتى الآن ولم يحدد الرقم النهائي للحالات بعد! الحكومات غير معنيّة بالرياضة. تريد الفوز بأي ثمن في مهرجان صراع الوطنيات البرجوازية الفارغ، وهي من دون شك تضع أفراد فرقها الرياضية تحت كل الضغوط مباشرة أو غير مباشرة للحصول على الميداليات. الحكومة البريطانية مثلاً تنفق على فرقها الرياضية بنسبة ترتبط بقدرتها على إحراز الميداليات الذهبية - لا شيء آخر. وهكذا، فإن رياضة شعبية ممتازة مثل كرة السلة تراجعت ميزانيتها في الأولمبياد من 9 ملايين جنيه إسترليني سنوياً إلى الصفر لأن الفريق البريطاني لن يحصل على الذهب في وقت قريب، بينما تضاعف الإنفاق على رياضة الدراجات الفرديّة النخبوية لأن الدول التي تتنافس فيها قليلة وحظوظ الذهب البريطانية مهمة.

لكن الأخطر من ذلك كله هو الرموز الثقافية التي توظف في الألعاب الرياضية من حفل الافتتاح، إلى الدول المشاركة وأخيراً أزياء اللاعبين. من برلين إلى موسكو ومن لوس أنجليس لبكين. ماذا تتوقعون؟ مثلاً في أولمبياد لندن في2012، أدرج المخرج داني بويل لوحات عدة عن إنجازات الشعب البريطاني. إحدى اللوحات تضمنت ممرضات بالزي الأبيض يمثلن هيئة الصحة الوطنية التي هي آخر ما تبقى تقريباً من مؤسسات عامة في البلاد لا تخضع للقطاع الخاص. تعرض بويل لهجوم شديد، واعتبر بعضهم أن افتتاح ألعاب لندن كان يسارياً أكثر من افتتاح ألعاب بكين برعاية الحزب الشيوعي الصيني. وهكذا فإن الافتتاحات دائماً ساحة لحروب الرموز الثقافية بين الوطنيات المتنافسة والترويج للقوميات. آخر الإضافات في اللعب السياسي كان فريق اللاجئين. استقطبت لاعبة سوريّة قيل إنّها لاجئة للمشاركة في منافسات السباحة لتوجيه مزيد من الضغوط على نظام بلادها. أمر لم يجرؤ أحد عليه من قبل، لكنه قد يفتح الباب لمماحكات مستقبلية واستقبال فرق من المعارضة في الدول التي تقاوم الهيمنة الأميركية!

الصورة الرمز لأولمبياد ريو ليست فتاة البوركيني المصرية التي تلعب كرة الشاطئ مع فتيات البكيني الإيطاليات. هذا استشراق بائس. الصورة الحقيقية هي للسيدة الفقيرة التي ألقت من بلكونتها في بيتها البائس سطل ماء قذر على حاملي الشعلة الأولمبية في أحد شوارع ريو دي جانيرو، فكادت أن تطفئها.

الأعلام والنشيد الوطني ودعم الحكومات هي التي تتنافس في هذه المهرجانات الرياضية العالمية، لا الرياضيين الأفراد، والمستفيدون دوماً هم ذات المجموعة من شركات الإعلان والاستهلاك المعولم والحكومات الفاشية.

الرياضة ليست رياضة، «إنها مسرحية استعراضية» كما يقول أستاذ الرموز الثقافيّة الأهم رولان بارت. متى قلتم موعد المونديال المقبل؟

الصورة الرمز ليست فتاة البوركيني المصرية التي تلعب كرة الشاطئ مع فتيات البكيني

> «إنها مسرحية استعراضية» كما قال مرة رولان بارت